مجلة دراسات تاريخية": ملف مجلّد 2018

موضوع الملف: "المشرق العربي القديم أصل الإنسان والحضارة: حقائق علمية موثقة على ضوء المصادر والعلوم المعنية" (الجزء الثاني)

محتويات الملف:

- أ. د. نجاح محمد: المؤرخ الفرنسي بيير روسي (ROSSI) وتاريخ العرب الحقيقي: استشراق معرفي مسيّس أم معرفي خالص؟"
- أ. د. محمد بهجت قبيسي: "اللغة والتاريخ العربي القديم"
- أ. د. نشأت رعدون: "أفاميا كنموذج للحضارة العربية السورية القديمة"
- أ. د. إبراهيم الخلايلي: "الجذور العربية المشتركة بين المشرق والمغرب في العصر الكنعاني: نماذجُ ونقوشٌ ودلالاتٌ تاريخيةٌ حضاريةٌ"
- أ. د. جهاد عبود: "اللغة العربية القديمة وأصولها"

المؤرخ الفرنسي بيير روسي (ROSSI) وتاريخ العرب الحقيقي: استشراق معرفي مسيّس أم معرفي خالص؟"

أ.د. نجاح محمد

رئيسة تحرير مجلة دراسات تاريخية

مخطط البحث:

أولاً)- المقدمة: تعريف ببيير روسي وكتابه " La Cité d'Isis, histoire vraie des Arabes".

ثانياً)- الاستشراق وبيير روسي ومفهومه للشرق.

ثالثاً)- روسي والثقافة والحضارة والشرق والغرب في كتابه: "مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب":

1- الأرضية التاريخية والسياسية لاستشراق التزوير والتصحيح: الشرق العربي وتآمر الغرب ومركزويته.

2- روسي و"الشرق العربي": "خدعة السامية" وأصالة العروبة.

3- الثقافة العربية والشرق والغرب برؤية روسي العلمية.

4- روسي وتأثيرات الإنجازات الحضارية للشرق العربي في الغرب في العصور القديمة:

أ- على صعيد البنية المادية الاقتصادية.

ب- على صعيد البنية الفوقية الثقافية: الفلسفة والدين والعلوم والفنون ومنها العمارة.

5- عن الإسلام والصلة بين العرب القدماء والعرب المسلمين.

رابعاً)- الخاتمة: الاستشراق والاستعراب وتصحيح التزوير.

أولاً)– المقدمة: تعريف ببيير روسي وكتابه " La Cité d'Isis, histoire vraie des Arabes":

إنّه الباحث الأكاديمي الفرنسي المتميز والشهير بيير روسي (1920–2002)[1]، المتخصص بالحضارة اليونانية وأستاذها في جامعات فرنسية، والعالم والروائي والفيلسوف. رئيس "دار الشرق" في باريس، التي خصصها لدراسات تتعلق بشرقنا العربي. له مؤلفات تاريخية وبحوث كثيرة في الكلاسيكيات وعن الوطن العربي خاصة وقضاياه، ومنها قضية فلسطين العربية، التي يؤكد كيف تثبت آثارها تاريخها الكنعاني العربي القديم، وكذلك عن الحضارة العربية واللغة العربية، ممّا يفسر عَدَّهُ "مؤرخ العالم العربي". ومن أهم مؤلفاته كتابه:

"La Cité d'Isis, histoire vraie des Arabes, (Nouvelles éditions latines), 1976".

صدرت نسخة ترجمته إلى العربية، بطبعتها الأولى عام 1980، عن وزارة التعليم العالي في سوريا، بعنوان: "مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب"، وقام بها الباحث السوري فريد جحا بتكليف من هذه الوزارة. وصدرت كطبعة ثانية عن دار البشائر عام 1996، وهي التي نعتمدها في دراستنا هذه، ثم صدرت الطبعة الثالثة عام 2004. وفي عام 2007 صدرت ترجمة جديدة له في الجزائر من قبل مولود طيّاب بعنوان: "وطن إيزيس تاريخ العرب الصحيح"، وفي عام 2014 أعيدت طباعتها بمناسبة إعلان الجزائر كعاصمة للثقافة العربية. وكان كتاب روسي هذا باللغة الفرنسية وبالترجمتين "من أكثر

[1])– اعتمدنا في معظم معلوماتنا عن بيير روسي على ما جاء في صفحة 7–8 من مقدمة الترجمة العربية لكتابه: بيير روسي، مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، الطبعة الثانية، دار البشائر، دمشق، 1996،وكذلك على ما جاء فيه من تعريف عن مؤلِّفه روسي في صفحة 258–261، وعلى ما جاء عنه في موقع موسوعة ويكيبيديا: fr.wikipedia.org/wiki/Pierre_Rossi

الكتب مبيعاً كبيراً في العالم العربي"[2]، وقد أثار جدلاً واسعاً كان دوماً لصالح انتشار معطياته المعرفية التصحيحية الهائلة، التي تلقاها كل عالم معني بالحقيقة بمشاعر التقدير الكبير لصاحبها الباحث المتميز بيير روسي، "فأثنى عليه كلّ من يحب أمته، ويعرف تراثها ويجلّه"[3]، ولقد قام الباحث أحمد داوود بإهدائه موسوعته الأولى وأحد كتبه[4].

من يقرأ كتاب روسي المذكور يتوضح لديه مباشرة وبسهولة أنّه يقصد بمسماه "مدينة إيزيس" إعطاء الرمز الأكثر دلالة على الشرق العربي ككلّ بعد ظهور تجمعات الإنسان العاقل فيه، من حيث إنّ إيزيس هي "البركة والأمومة أي قدرة الزمن الخالقة...التي تحب الإنسانية"[5]. وهي أم الطفل الإلهي الذي هو آدم أو الإنسان العاقل الأول، وهي "تجسيد للتصرف بما يمليه العقل، ويخضع كل شيء لنظامه هو، بما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون"[6]. الدلالة المقصودة من روسي في العنوان واحدة وصحيحة في الترجمتيْن، وهي الشرق العربي، ولكننا نرى أنّ الترجمة الأولى لفريد جحا، "مدينة إيزيس"، هي الأصح كترجمة حرفية (La Cité d'Isis)، وأنّ الترجمة الثانية، "وطن إيزيس"، هي الأصح كترجمة دالة على المضمون المُراد.

---

[2])- انظر موقع موسوعة ويكيبيديا: fr.wikipedia.org/wiki/Pierre_Rossi

[3])- انظر روسي، مدينة إيزيس التاريخ...، التعريف بالمؤلِّف في صفحة 259.

[4])- الموسوعة هي: موسوعة نينورتا التاريخية الجزء الأول: قصة الخلق، دار نينورتا للنشر والتوزيع، دمشق، 2012، والإهداء لروسي في ص 410. والكتاب هو: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، والإهداء لروسي بالعربي والفرنسي في ص 4 و5، وطبع ست طبعات في دمشق: أولاها عام 1991 وآخرها عام 2011.

[5])- روسي، مدينة إيزيس التاريخ...، ص 79.

[6])- انظر أحمد داوود، موسوعة نينورتا التاريخية...، ص 265، ولأخذ فكرة كلية عن إيزيس راجع ص 257-287.

ثانياً)- الاستشراق وبيير روسي ومفهومه للشرق:

الاستشراق، كما هو واضح من اسمه، هو كلّ فعل متعلق بالشرق. صحيح أنّ هناك إشكالية في تحديد بدايته المختلفة باختلاف تواريخ ظهور كلّ من مضامينه إيجاباً وسلباً، المضمون التاريخي التفاعلي والآخر الرسمي الحكومي، المضمون الإنساني الحضاري والآخر الاستعماري الاستغلالي، المضمون البحثي الموضوعي والآخر المسيّس التزويري إلخ... ولكن معظم الباحثين حددوا بدايته تاريخياً بصلات الغرب اليوناني تحديداً مع الشرق منذ بروز هذا الغرب في القرون الأخيرة قبل الميلاد[7]. والمضمون الجيو–سياسي لهذا الشرق المعني، وفق الموقع الجغرافي لهذا الغرب اليوناني، ووفق المصادر ذات الصلة جميعها، هو الشرق العربي أولاً، أي "البلاد التي حول الطرف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط" وفق تحديد براستد (BRASTED) للشرق[8].

وبيير روسي، كما سنرى من متابعتنا لمحتويات كتابه، قد بدأ غرباً بهذه الصلات لليونان مع الشرق الذي يتحدث عنه وفق مضمونين اثنيْن: الأول عام متعلق بالشرق ككل وفق الموقع الجغرافي بالنسبة إلى الغرب اليوناني ومن هذا الشرق، والثاني متعلق بالشرق العربي تحديداً وفق كونه أصل معطيات الثقافة ومصدرها جميعها في الغرب وكل الشرق منذ فجر التاريخ، لغةً وحضارة[9]. ونحن مع روسي ومع من ركّز من الباحثين، في رؤيتهم

---

[7])– انظر كمثال ميشال جحا: "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبة" (مجلة الفكر العربي، الصادرة عن معهد الإنماء العربي في بيروت، والهيئة القومية للبحث العلمي في ليبيا، بيروت، العدد 32 الخاص بالاستشراق، نيسان– حزيران 1983، ص (182–189) ص182.

[8])– جيمس هنري براستد: العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1983، ص 38.

[9])– انظر لاحقاً.

للاستشراق، على مفهومه الجيو–سياسي والجيو–بشري الحضاري، وعلى أنه صلات الغرب بالشرق، ومعهم إذ يؤكدوا أنّ الغرب مغارب وأن الشرق مشارق[10].

وإنّ أسباب الاستشراق ودوافعه عموماً، منذ الصلات اليونانية مع الشرق العربي، قد خضعت، وما تزال تخضع، للعوامل المؤثرة في العلاقات بين الغرب والشرق، العربي وغير العربي، ومنها تطور واقع كلّ منهما ومتغيراته. ارتبطت، وما تزال ترتبط، بمختلف نفسيات الأفراد والجماعات العاملة فيه ومصالحها وأهدافها داخل السلطات أو خارجها، وبشتى خصوصياتها، التاريخية والسياسية والاقتصادية والثقافية ومنها الإيديولوجية والدينية والنفسية والعلمية وغيرها. وكان أن تطور مفهوم الاستشراق إيجاباً أو سلباً، إعماراً أو هدماً، أخذاً أو عطاءً، بحثاً تصحيحياً أو تزويرياً، تفاعلاً وتمازجاً أو جبراً وقمعاً وحرباً إلخ... وكثرت المؤسسات والفعاليات الاستشراقية، وبرز اتجاهان اثنان[11]:

الأول هو الاتجاه الاستشراقي الاستعماري العرقي العنصري المسيّس، الموظف من قبل القوى السلطوية الغربية لمعرفة الشرق "لا بصورته كما هو في الواقع، وإنّما بالصورة التي تتطلبها مصالحها الاستعمارية" التي عبّر عنها إدوار سعيد بما سماه "بشرقنة الشرق"[12]، التي استدعت بالمقابل، وبالضرورة، "غربنة الغرب" التي طرحت المركزوية الأوروبية، ثم الغربية بعد اندراج العالم الأمريكي الجديد في إطار الغرب، ولتعني معرفته بالصورة المرسومة له أيضاً حسب رغبات هذه القوى وخططها، لا بصورته الواقعية. وكان أن غدا الاستشراق التآمري الغربي في وجهيْه، الشرقنة والغربنة، محكوماً بفعلين

---

[10])- Cf. Jean P. CHARNAY: Les Conter – Orients ou Comment Penser l'Autre selon, Soi, sindbad, Paris. 1980.

[11])– راجع طيب التيزيني، من التراث إلى الثورة، دار دمشق، الطبعة الثالثة، 1979، ص566–580.

[12])– راجع إدوارد سعيد: الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الثانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1984.

جـرميين أساسـيْن اثنـيْن: الأول فعـل اقتـراف جريمـة الاسـتجابة "لتـأثير الهـواجس الاستعمارية العرقيـة العنصـرية" كـدافع، والثـاني فعـل اقتـراف جريمـة التزويـر التـاريخي كوسيلة وحيدة لضمان معطيات الشرقنة والغربنة الزائفة والمطلوبة في إطار إرضاء هذه الهواجس والمصالح.

الاتجاه الثاني هو الاتجاه الاستشراقي "الإنسي المستنير التاريخي" المدعو بالاتجاه "المعرفي الخالص" عند بعضهم، و"الاتجاه العلمي" عند بعضهم الآخر، والذي تطور قسم منه إلى الاتجاه الماركسي. وهذا الاتجاه الإنسي المستنير باختصار هو الاتجاه الموضوعي المُصحِّح للاتجاه العنصري المسيس التزويري، والذي رفض كل تحزّب تعصبي فئوي بشري، ليلتزم بتحزّب عادل وحيد هو التحزّب التاريخي الذي تطرحه الجدلية التراثية على أنه اكتشاف الحقيقة التاريخية الموضوعية، انطلاقاً من "مبادئ العقلانية والمساواة والتنوير والموضوعية"[13]، وبيير روسي هو النموذج الأمثل له كما سنرى من المتابعة القادمة لمضامين كتابه.

ثالثاً)– روسي والثقافة والحضارة والشرق والغرب في كتابه: "مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب":

قبل أن نبدأ بمتابعة محتويات هذا الكتاب في هذه الموضوعات في هذا العنوان نجد من الضروري التنبيه إلى أربعة أمور مهمة: الأول هو أنّ روسي حين يتحدث عن "الشرق" في المجال الثقافي والحضاري فهو يعني دوماً "الشرق العربي"، والثاني أنّه يقدم في كتابه تفاصيل كثيرة في مجالات متنوعة، في التاريخ والآثار والأقوام واللغة والفلسفة والأديان والآداب والعلوم والفنون ولاسيّما العمارة وغيرها؛ ممّا اضطرنا في متابعتنا لها إلى إهمال كثير منها لضرورة الاختصار والاكتفاء من ثَمَّ بالأفكار الرئيسة ذات الدلالة الفُضْلى، والثالث هو أنّ اهتمامنا في متابعتنا سيُركَّز على الموضوعات الأساسية

[13])– تيزيني، من التراث إلى الثورة...، ص 596–601.

المذكورة، وللتسهيل سيكون التوثيق لها داخل النص بوضع أرقام الصفحات المعنية داخل أقواس، لأنها- بالطبع- من مرجع وحيد هو كتاب روسي فقط، والرابع هو أنّه لا يمكن فهم أي تصحيح لأي فكر تزويري، دون التعريف بهذا الفكر وبالأرضية التاريخية والسياسية التي ظهر فيها وانطلق منها، وسنبدأ بهذا التعريف ثم نتابع تصحيحات روسي في معظم مجالاتها.

1- الأرضية التاريخية والسياسية لاستشراق التزوير والتصحيح: الشرق العربي وتآمر الغرب ومركزويته[14]:

لم يعد أحد ينكر الحقيقة التاريخية للشرق العربي، كما يؤكد أحد المتخصصين الآثاريين: "سوى من يرفض أن يكون أصله من المشرق العربي القديم، مدفوعاً باعتبارات عنصرية لا تمت إلى جوهر البحث العلمي النزيه بصلة"[15]، وهذه الحقيقة تتمثل بكونه المركز الأصل البشري والحضاري للعالم كلّه بشرقه وغربه، وكونه صاحب الدور الحضاري التعليمي التمديني طوال العصور القديمة، في ظلّ هيمنة المربع الحضاري لسوريا ومصر والعراق واليمن، وطوال العصور الوسطى في ظل هيمنة الدولة العربية- الإسلامية. هذا وإن مضمون الشرق العربي، كما تعامل معه الغرب دوماً، مجازاً لرؤيته له ككلّ واحد بالطبع، وليس كموقع جغرافي بالنسبة إليه، هو الوطن العربي بشرقه وغربه[16]. مارس الشرق العربي دوره هذا من خلال نظام رأسمالي عربي إعماري عالمي[17]، قديماً ووسيطاً، اقتصاداً وثقافةً، هيمن حضارياً على المستوى العالمي كلّه

---

[14])- إضافة الواو إلى أي مصطلح، مثل "المركزية" ليصبح "مركزوية"، تعني الدلالة على تجاوزه لمضمونه الذاتي الصحيح، انظر تيزيني، من التراث إلى الثورة...،

[15])- سلطان محيسن: عصور ما قبل التاريخ، دار المستقبل، دمشق 1986، ص61.

[16])- انظر على سبيل المثال: CHARNAY : Les Conter – Orients...,

[17])- في تحديد الظهور التاريخي الأول للنظام العالمي يجب أن يتمّ التمييز بين ظهور وجوده كواقع ملموس وبين ظهور مسماه الاصطلاحي في تعبيره عنه. وعليه فإن ظهور مصطلح

ومنه المستوى الغربي كما سنرى، نظام حمل إلى العالم، شرقاً وغرباً، عناصر الحضارة المستجدة للعقل العربي المبدع كلّها: زراعة وحرفة وتجارة وصناعة وصيرفة وديناً وعلماً وفكراً وفلسفة ولغة وكتابة وفناً وأدباً وقوانين وأنظمة وسياسة وديموقراطية ونقابية إلخ... وكان الأمر الوحيد الذي احتكره العرب هو معرفة الطرق التجارية البحرية بين الغرب والشرق، بما فيها رأس الرجاء الصالح وأميركا[18]، حرصاً على استمرارية سيطرتهم كوسطاء وكتجار على العلاقات الاقتصادية الدولية ولاسيّما التجارية. مقابل هذا الموقع الحضاري المهيمن والفريد للشرق العربي، طوال العصور القديمة والوسطى، كان الغرب حسب إجماع الباحثيين الغربيين غارقاً في ظلام الهمجية والبربرية طوال هذه العصور[19].

أمّا في العصور الحديثة ففي الوقت الذي كانت عوامل النهضة تتصاعد في الغرب الأوروبي على كلّ صعيد، واعتماداً على معطيات الحضارة العربية نفسها، كانت

النظام العالمي هو حديث ويعود إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أما بداية ظهوره كواقع ملموس فهي مرتبطة بالضرورة ببداية الدول والعلاقات فيما بينها، مما يفسر قول أحدهم: "النظام العالمي قديم قدم الممالك...قدم السلطة والدولة"(خليل أحمد خليل، "الخيار الوحدوي العربي في ظلّ النظام العالمي الجديد، في مجلة الوحدة، الرباط، عدد90، آذار 1992، ص8–15)، وراجع نجاح محمد: المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1995، القسم الأول.

[18])– ممّا يؤكد هذه المعرفة حديث هيرودوت عن دوران العرب الفينيقيين حول رأس الرجاء الصالح: انظر: Herodotus. Vol IV. Ch.. 42

ولإثبات الآثار المكتشفة لوصولهم إلى أميركا (انظر اسيل أدّه، الفينيقيون واكتشاف أميركا، دار النهار، بيروت، 1969).

[19])– هذا أمر واضح على المستوى البحثي. راجع على سبيل المثال براستد: العصور القديمة ...، وزيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، طبعة2، دار الجبل ودار الآفاق بيروت 1993.

معطيات هذه النهضة تفرض نفسها على المستويات الحياتية الأوروبية كلّها، بفعل العوامل الداخلية والخارجية المعروفة، التي لا مجال لذكرها هنا. وكان أن أجتهد الغرب في استغلال هذه المتغيرات لصالح نموّ قوته البرجوازية الوطنية المتصاعدة، الذي تسارعت وتيرته إثر إنجازه لما دُعي بالمكتشفات الجغرافية للطريق إلى الهند، أي اكتشاف رأس الرجاء الصالح وأميركا في السنين الأخيرة من القرن الخامس عشر والسنين الأولى من القرن السادس عشر، التي هي مكتشفات بالنسبة إليه وليس بالنسبة إلى العرب الذين كانوا يحتكرون معرفتها كما رأينا.

وإن اختراق الغرب لهذا الاحتكار كان من أبرز الأسباب التي أسهمت في القضاء على الهيمنة العربية على التجارة الدولية، كطرق ومراكز ومواد، لصالح الهيمنة الأوروبية، وأدت من ثَمَّ إلى تقويض النظام الرأسمالي العربي العالمي الإعماري لصالح بداية تشكل النظام الرأسمالي الأوروبي الغربي الاستعماري.

وكان أن استغل الغرب ظروف خضوع الشرق العربي إلى الاحتلال العثماني، ليحصل من سلطات هذا الاحتلال على الامتيازات التجارية لصالح نموه البرجوازي المتعاظم على حساب المواقع المتقدمة للتخلف العربي على كل صعيد وإلى أن قامت أوروبا بثوراتها البرجوازية التقنية العلمانية القومية الديمقراطية في القرن الثامن عشر، التي عَمَّقَتْ تقدم الغرب مقابل التخلف العربي منذ ذلك الحين حتى يومنا الحاضر، في ظل الزعامة الأوروبية البريطانية بداية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945، وفي ظلّ الزعامة الأميركية نهاية حتى تفكك المعسكر الاشتراكي ونهاية مرحلة الحرب الباردة عام 1991.

يمكن القول إذاً: إنّ الشرق الذي طرح نفسه حضارياً "كنقيض للغرب"[20]، منذ فجر التاريخ وطوال العصور القديمة والوسطى والحديثة الممتدة حتى قيام هذا الغرب بثوراته

[20])- المرجع نفسه، وانظر سعيد، الاستشراق...، ص 88.

المذكورة، هو الشرق العربي تحديداً. فقد استطاع هذا الشرق من خلال "سحر عطاءاته الحضارية استقطاب دهشة وانبهار شعوب الغرب به، إلى درجة تحوّل بعض أفرادها إلى الانتماء إليه والاستيطان فيه في قسمه الشامي السوري وحمل حتى ميدالياته القرآنية"[21].

لكن معظم الغرب، حسب تأكيد المستشرق واط، قد حكمه في رؤيته للشرق العربي وفي علاقته معه واحتكاكه مع حضارات العرب عقدتان: عقدة الخوف وعقدة النقص[22]، ويرى واط أن تشويه صورة العرب والإسلام "كان أمراً ضرورياً للأوروبيين لكي يعوضوا عن هذا الشعور بالنقص"[23]. استمرت عقدة نقص الغرب تجاه التفوق الحضاري الكبير للشرق العربي حتى نهاية هذا التفوق إثر قيام الغرب بثورته التقنية القومية العلمانية في القرن الثامن عشر، وكانت نهايتها لصالح بروز عقدة الغرب الفوقية المركزية، عقدة احتكار التفوق الحضاري للغرب في إنكاره للدور الحضاري للشرق العربي التي استدعت بالضرورة نظرة دونية له وجهت حركة تزوير تاريخه خصوصاً، والتاريخ الإنساني عموماً، والأداة الأساسية دوماً كانت الاستشراق.

بعد ذلك، ومع تعاظم القوة الغربية العسكرية والأمنية والاقتصادية مقابل تعاظم واقع الضعف لدى الشرق العربي والإسلامي، كادت عقدة الخوف لدى الغرب من هذا الشرق أن تتلاشى لولا ظهور البترول العربي وبروز الدور الحياتي المصيري الذي احتله لا في الاقتصاد العربي فحسب وإنما في حياة الغرب اليومية، بحيث شكل 80% من حاجة أوروبة النفطية، وبحيث برزت عقدة الخوف لدى الغرب، من جديد، من الحرمان من

[21])– علي الشامي: "الحركة الصليبية وأثرها على الاستشراق الغربي"، (مجلة الفكر العربي، بيروت العدد 31، كانون الثاني . آذار 1983، ص(137–172) ص163، وهونكه، شمس العربي تسطع...، ص 412.

[22])– مونتغمري واط: أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبة، ترجمة جابر أبي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1981، ص116–117، و158.

[23])– المرجع نفسه، ص 159.

النفط العربي ومن خطر قيام قوة عربية قادرة على فعل هذا الحرمان. وقامت الصهيونية وما تزال تقوم دوراً أساسياً في تضخيم عقدة الخوف هذه لتضمن استمرارية الدعم الغربي لها وجوداً وقوة عسكرية متفوقة على قوة العرب أجمعين، بحجة دورها في التصدّي لهذا الخطر. ولندرك أسباب تأمر الغرب المستمر ضد العرب علينا أن نربط بين خوفه هذا وبين خوفه من إمكانية استعادة العرب لمجدهم السابق ونظامهم المهيمن من خلال نجاحهم في تحقيق مشروعهم النهضوي التحديثي القومي الوحدوي، الذي يعني من ثَمَّ تحكمهم بطاقاتهم وثرواتهم الوطنية كلّها، ومنها بترولهم ورؤوس أموالهم وأدمغتهم وفعالياتهم المهجرة، والمساهمة بقوة في تطوير معظم المؤسسات الحياتية الغربية العلمية.

وهكذا، فإن الفئات الحاكمة الغربية، مدفوعة بهذه المشاعر والعقد كلّها، مستغلّة لها في آن واحد، لم تتوقف يوماً عن التآمر ضد العرب، أو بتعبير آخر ضد الشرق العربي على كل صعيد. وإذا كان الهدف الأساسي من تآمرها في ظلّ وجود النظام الرأسمالي العربي العالمي الإعماري في العصور القديمة والوسطى، وحتى نهاية التقدم العربي بالنسبة إلى الغرب مع قيام ثورته القومية التقنية في القرن الثامن عشر، هو القضاء التام على هذا النظام لصالح وجود النظام الرأسمالي الغربي الاستعماري، فقد كان بعد توطيد هذا النظام، وإنجاز هذه الثورة، هو خلق جميع أسباب تطوير الواقع الغربي وحمايته، ومنها الحفاظ على عوامل ضعف الوطن العربي وتخلفه منعاً من إنجازه لمشروعه النهضوي القطري والقومي.

في دائرة هذا التآمر وظُف الاستشراق لضرب كلّ أسس الشخصية العربية وتعميق دونيتها بالنسبة إلى التفوّق الغربي لصالح المركزوية الغربية، فكان تزوير التاريخ لفبركة المعطيات اللازمة لهذا التآمر الاستشراقي الاستعماري الثقافي في إطار بشاعة التعصب لأفكار النقاء العرقية" التي كما يؤكد روسي، قد "ولدت في أوروبا مع عصر الأنوار، ومع الادعاء العنصري الذي كان يؤكّد أنّه عالمي، وكان في الوقت نفسه يحفر حدوداً

قتلةً بين الأعراق والديانات المختلفة. وإن التصلب المدرسي مسؤول عن انحراف زائغ في عقليتنا التاريخية"[24].

وكان أن خُلِع الشرق العربي من مركزه الحضاري ليُغرس الغرب فيه، وبحيث تتحول المركزية العربية الحضارية الحقيقية التاريخية طوال العصور القديمة والوسطى على الأقل، إلى المركزية الأوروبية، التي سرعان ما عدّلت إلى صيغة المركزوية الغربية ليتاح للولايات المتحدة الأميركية الاندراج في إطارها بعد بداية بروزها منذ أواخر القرن التاسع عشر. وفي الوقت نفسه الذي كان على صيغ التزوير أن تكوّن عوناً نفسياً لحلّ عقد الغرب المذكورة، فقد كان عليها أن تكون حرباً نفسية تزرع مشاعر النقص والخوف واليأس في الشرق العربي.

ولكن كان من الطبيعي، بعد مرحلة من قيام الثورات البرجوازية العلمانية الديمقراطية في أوروبة في القرن الثامن عشر، أن تصبح مبادئها المعلنة عن حقوق الإنسان أكثر نضجاً لدى شعوب الغرب، ومن ثَمَّ لدى مؤسساته العلمية، ومنها الاستشراقية، بغض النظر عن الممارسات الاستعمارية لحكوماته، ليبرز الاتجاه الاستشراقي المعرفي الخالص، والإنسي المستنير، ولاسيّما بعد غياب القيود اللاهوتية أو "لاهوت السيطرة"، حسب تعبير غارودي[25]. وبالطبع اختلفت درجة موضوعيته النسبية باختلاف إمكانيات أصحابه العلمية، ومدى مقدرتهم على التحرّر من معلومات التزوير في داخلهم، وعلى التحوّل من "إنتاج المعارف المشوّهة والعداء للآخرين"[26] إلى إنتاج المعارف الصحيحة والمحبة للعالم أجمعين. والآن ماذا عن أبرز صيغ التزوير؟

---

[24])– روسي، مدينة إيزيس التاريخ...، ص53.

[25])– روجيه غارودي، نحو حرب دينية، جدل العصر، ترجمة صياح الجهيم، دار بيروت، 1996، ص15–16.

[26])– خليل: "الاستشراق مشكلة معرفة...، ص 52.

الصيغة الأولى للتزوير بما يخص هوية الشرق وأصوله تمثلت بتغييب هوية الشرق العربية من خلال تعميم مصطلح "الشرق" دون هوية حيناً، وتعميم مصطلح السامية حيناً آخر، كبديل عن العربية، وذلك اعتماداً على النظرية السامية– الحامية– اليافثية (الآرية أو الهندو–أوروبية)، التي عدّها الباحثون الموضوعيون نظرية عنصرية صهيونية موجهة ضدّ الأمة العربية تحديداً[27]، من حيث تحويلها من أصل أمّ لكل شعوب وحضارات ولغاتها العالم، بما فيها ما دعي باللغات والعروق السامية والحامية والآرية والهندو– أوروبية، إلى فرع من فروع فرعها السامي، أي اختزال الكلّ في الجزء غصباً عن كلّ منطق أو إعمال للعقل، ومن حيث زرع التفرقة العرقية المصنوعة والمخطط لتعميمها في صفوفها وفي صفوف المسلمين عموماً، بين سامي وحامي وآري هندو– أوروبي، وبما يخدم استقطاب بعض أقوامها للاندراج في دائرة الغرب ومصالحه باسم وحدة العرق الآري المزعوم التي تجمعها به ضدّ العرب "الساميين"، بحيث يتحول الأبناء عن مجابهة عدوهم الحقيقي إلى مجابهة أهلهم ووطنهم.

الصيغة الثانية هي إبراز ما دعي بالمركزوية الأوروبية المتمثلة في الادعاء بأن أوروبة كانت دوماً "مركز الثقافة العالمية، ومنها بدأت الحضارة، وفيها تتطور نحو الأعلى"[28]. وكان لابدّ أن تترافق هذه الصيغة ذات "اللوثة العرقية"[29]، بالضرورة، بصيغ تعرية الشرق العربي ومنه العربي– الإسلامي، من كل عطاءاته الحضارية التي لُبّست للغرب، والتي من شأنها، لو استمرت في جسمها العروبي التاريخي، أن تدلّ على أن هذا الشرق هو المركز الأصل الحقيقي، وأن تدلّ من ثَمَّ على زيف المركزوية الغربية أو

[27])– راجع نعيم فرح: النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب، دار حسان 1993، وانظر بحثنا: "القومية العربية في تاريخنا القديم: الجذور والصيرورة" (مجلة المعرفة، العدد356، أيار 1993، ص43–76).

[28])– انظر تيزيني، من التراث إلى الثورة...، ص 526–580.

[29])– المرجع نفسه.

الأوروبية هذه، وهكذا كان تجريد العرب من تراثهم الحضاري كلّه، قديماً لصالح الحضارات اليونانية والرومانية والبيزنطية المعدودة غربية، ووسيطاً لصالح القوى الإسلامية المعدودة غير عربية، ولاسيّما تلك التي صنعوا لها انتماءها المزعوم إلى العرق الآري الأوروبي، أي حضارات فارس والهند والصين. ولاستكمال التزوير حُدّد فضل العرب بدورهم كساعي بريد ليس إلا في نقل حضارات اليونان والشرق إلى أوروبة، وقد سفّهت المؤرخة الألمانية هونكه هذا التزوير بقوة وصحّحته[30].

صيغة المركزوية الأوروبية هذه طرحت أوروبا بداية على أنها المركز الأصل والمتطور باستمرار للنشاطات كلّها المادية والروحية معاً، وأبرزت تحركاتها الاستعمارية على أنها جزء من رسالتها الحضارية في "التأورب"، التمديني للشرق، يتساوى في ذلك الاستشراق الغربي الليبرالي والاستشراق الاشتراكي ومنه الماركسي[31]. مع ذلك، وبتأثير الاتجاه الأنسي المستنير البرجوازي المعتدل نسبياً فضلاً عن تأثير تصاعد مد حركة التحرر العالمية، ومنها العربية، تحوّلت المركزوية الأوروبية لتتضمن النشاطات المادية فقط مقابل التخلّي عن الأنشطة الروحية لصالح ما دعي بالمركزوية الشرقية[32]، ولتتحول

[30])– بينت هونكه "أن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء الطبيعية والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع، فضلاً عن أنّ عدداً لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم، التي سُرق أغلبها ونسب لآخرين. قدم العرب أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة،وتسلطه عليها"(من كتابها: شمس العرب تسطع...، ص401–402).

[31])– انظر ميشال نوفل، "المركزية الأوروبية وعلاقة الشرق بالغرب في الفكر الماركسي" (مجلة العربي، العدد31، كانون الثاني–آذار 1983، ص173–187).

[32])– انظر تيزيني، من التراث إلى الثورة...، ص546–550.

شرقنة الشرق هكذا من العدم الحضاري التام إلى الرداء الروحي الديني الجزئي، مقابل تحوّل غربنة الغرب من اللبوس الحضاري الكامل إلى اللبوس المادي فقط[33].

في العودة العلمية إلى الوثائق تكتشف الحقائق، وإنّ الوثائق الوحيدة الأكيدة التي نملكها عن العهود القديمة، وفق تأكيد روسي، هي "الأبنية الأثرية والكتابات المنقوشة على الحجر أو الوثائق المسمارية المخطوطة في الصلصال، وهذه قد نجا قسم منها من حميّة "مُكَيِّفي" التاريخ. وقد حدث ذلك لقسم منها، ذلك أن الكثير من الأبنية قد هدم، ومكتبات كاملة مسمارية قد فقدت، وبخاصة بعد نهب متحف الإسكندرية المشهور"(ص219)، لكن الوثائق المتبقية موجودة وهي ضخمة ومخبأة في أرشيفات الغرب السرية، وممنوعة من التداول، وهذا كلّه لحجب الحقيقة لصالح التزوير الغربي للتاريخ. إلاّ أنّ هذه الحقيقة سطعت بفضل الدراسات العلمية الموضوعية للقليل المتوافر المعلن من الوثائق، من قبل علماء متميزين علماً وضميراً، ومنهم بيير روسي، فماذا عن تصحيحه؟

2- روسي و"الشرق العربي": "خدعة السامية" وأصالة العروبة:

يؤكدّ روسي: "أنّه لا يكفي الإنسان أن يتكلم، بل عليه أن يتكلم ما هو صحيح" (ص20)، ويتحدث بكل وضوح عن عروبة الشرق والغرب معاً كما سنرى، ويقول عن "خدعة" النظرية السامية- الحامية- اليافثية (الآرية- أو الهندو- أوروبية: "لا شيء في ميدان الحقيقة يفرض تمييزاً، سليماً أو مريباً، بين (الآريين) والساميين... يضاف إلى هذا أننا من أجل احترام التراث التوراتي، ينبغي أن نقول (اليافثيين)، وليس (الآريين)، لأن (يافث) من أبناء نوح الثلاثة هو الذي نسل اليونانيين والأناضوليين وأقاربنا الأوروبيين، فبأية غفلة لا تغتفر تقدمت مدرستنا العلمية في ميدان ليس فيه شيء من الثبات والصحة" (ص20).

---

[33])- المرجع نفسه.

ويضيف: "الواقع، أنه انطلاقاً من الوثائق والمصادر والمواد التي كانت تحت تصرف العالم، يبدو أن من المستحيل البرهان على وجود شعوب سامية وآرية... إن تعبير (سامي وآري) ليسا شيئاً، ولا يدلان على شيء"(ص19)، "إننا، باختصار في جهل مطبق، جهل علمي متفق عليه، وأن الأمر سيكون بسيطاً جداً فيما لو أننا تكلمنا بدلاً من الساميين، الأبطال المختلفين من أصل خيالي.. لو أننا تكلمنا عن العرب، ذلكم الشعب الحقيقي الذي يمتلك وجوداً اجتماعياً مستمراً، وجوداً ثقافياً ولغوياً يعطي حياة وتوازناً لهذا البحر المتوسط منذ عدة آلاف من السنيين"(ص24). "وهكذا كان زيفاً وضلالاً باسم السامية المزعومة فصلُ العرب عن المجموع الثقافي المصري– الكنعاني– البابلي"(ص30).

وعن اللغة العربية، التي أنكرت النظرية السامية كونها اللغة الأصل الأم، يؤكد: "إن اللغة العربية قد أعطت، دون انقطاع منذ أصولها النيلية والرافدية حتى يومنا هذا، وفي جميع أشكالها وصورها، دون استثناء.. أعطت تديناً صاغ منه مجتمعنا جميع التأملات، الفلسفات، والجماليات، والعلوم الخفية أو العامة"(ص32). ويبيّن روسي كيف أن العربية كانت لغة كل الأنبياء، موسى وعيس ومحمد، ولغة كل الكهان والأقوام القديمة، ويربط بين سعة انتشارها والدور المؤثر للحضارة العربية قائلاً: "إذا كانت اللغة العربية قد لقيت حظاً لم تعرفه أية لغة أخرى، وإذا كانت لغة اليهودية والمسيحية والإسلام، فلأن حضارة مهيبة قد أعطتها سلطة تجاوزت أبعاد هضبة الحجاز. ولقد خضع لهذه السلطة، اليونان ثم الرومان ومعهم الأثروسكيون، قبل أن ينضم إليهم ممالك فيزيقوط الغرب وأمراء الهند"،(ص39).

وكأمثلة على تسفيه المضمون العنصري للنظرية السامية يورد بعض ما جاء في المراجع عن الخلط العرقي، ولاسيّما عند آرنست رينان المستشرق الفرنسي الذي أعطى نظرية شلوتزر السامية بعدها العرقي، والذي يتحدث عن الحثيين مثلاً، الذين كانوا "ساميون بالنسبة إلى بعضهم، ومغول بالنسبة إلى آخرين، ولفئة ثالثة هم مغول–

ساميون"(ص22). ويتحدث عن الفرس بأنهم ساميون عند بعضهم في الأوساط الشرقية وآريون عند بعضهم الآخر في الأوساط الأوروبية(ص24). وكذلك الأمر مع اليهود ومع المصريين والأحباش وغيرهم. أمّا العبرانيون فلا وجود تاريخي لهم، جماعةً ولغةً، لا سامي ولا غير سامي، إذ يؤكد روسي: "أن التاريخ المصنوع لهم خارج النصوص التوراتية هو الصمت الكلي المطبق، فلا العمارة ولا الكتابات المنقوشة على الآثار، ولا القوانين والدساتير تكشف أثراً قليلاً للعبرانيين...في ذلك كله لا تذكر كلمة عبرية... فالعدم كامل مثلما هو قطعي جازم"(ص25)، ويركز دوماً على أنّ فلسطين كنعانية عربية.

يستغرب روسي كيف صدق الغرب "بسهولة وعن طواعية الأحكام الجسورة المتهورة لمستشرقينا"(ص20)، مؤكداً: "أن هناك نقاد (في الغرب)، وقفوا ضد هذه الادعاءات الشاذة للنظريات المعترف بها، لكنه من المتعارف عليه أن الجامعة جسم يحمي أعضاءه المؤمنين به من جهة، ويقسو على معارضيه من جهة ثانية"(ص20). وكان أن قسا عليهم، فسكتوا، بخاصة وقد سكت العرب. ويُحمّل روسي الجامعة في الغرب مسؤولية تعميم هذه النظرية السامية خصوصاً، وتعميم حماية معطيات التزوير عموماً (ص20 و36).

3- الثقافة العربية والشرق والغرب برؤية روسي العلمية:

يؤكد روسي أن الثقافة والحضارة قد انطلقتا من الشرق العربي القديم. يقول: "الثقافة كانت عربية منذ بداياتها الأصلية"(ص142)، وتحت "شلال نور آسيا المتدفق ومن السماء التي تُظلِّل نهر النيل كُتبت جميع الدفقات القوية التي وُلدت منها الحضارة العربية الكبرى التي بسطت منذ فجر الزمان معرفتها وآداب سلوكها"(ص13).

وعليه يرى روسي فيما يخصّ الشرق: "أننا عندما نؤكد، من خلال نظرة شاملة، أن الشرق يتعيّن من خلال ثقافة عربية في مساحة عربية، فإننا لا نخترع شيئاً، إننا لا نفعل شيئاً جديداً سوى جمع وإحكام العناصر الجغرافية والثقافية الموطدة الواحد إلى الآخر"(36)، "وإذا ما أبعدنا عنا الهوى، وعرّينا المفهوم الشعبي واللغة الساميين من أجل

ألاّ نكتفي بالأفكار المتوارثة، وإذا كنا عازمين على ألاّ نستعير شيئاً من أحلامنا، وجب علينا عندئذ أن نعرف العروبة كثقافة الشرق الوحيدة، وأن نشرع في إبراز أنوار هذه الثقافة بإعادة النظر فيما كانوا قد علمّونا إيّاه تحت عنوان الشرق واليونان"(ص40).

يؤكد روسي: "أنّه إذا كان غربنا محبوباً، غنياً، جميلاً، ومنظماً كذلك، فإنما يعود فضل ذلك كلّه إلى تلك الامبراطوريات العربية الكبرى التي خلقت وأوجدت هذه السعادة" (ص14). ويرى فيما يخصّ الغرب أن كل حضاراته في العصور القديمة، بما فيها اليونانية والهلينستية والرومانية والبيزنطية، هي انعكاس للحضارة العربية وانتماء لها، إن اقتصاداً أو ديموقراطية أو قوانين أو فلسفة، أو علماء أو فناً أو ديناً أو سياسة أو أدباً الخ.. يقول مؤكداً باسم الأوروبيين: "أجل نحن أبناء آسيا وأبناء العروبة النيلية– الرافدية، أجل نحن أولئك في الحقيقة"(ص34). "لقد قلل الأوروبيون عن طواعية أصول ثقافتهم بإعادتها إلى المقاطعات اليونانية والرومانية، وهاهنا خطأ استوحيناه من انحياز مذهبي وسياسي"(ص13). "إن غربنا قد كان مستهلكاً ومكيفاً لهذه الثقافة ولكنه لم يكن قط مخترعها"(ص142).

ويرى روسي: "أن شجرة نسب الإغريق مزودة بشبكة لا تنفصم من الجذور العربية"(ص100)، وأنهم (وفي النسخة الفرنسية "الحضارة اليونانية")، لم يكونوا أبداً سوى شرفة وملحق لبناء العرب في الشرق"(ص41). وإن "الثقافة العربية هي أم الثقافة الهيلينستية، والموحية بها، والتي صاغت وشكلت عقلها وقوانينها"،(ص24). "ذلك إن الإرث الثقافي والعلمي والديني والجوهري قد زودنا العرب به. ينبغي إذاً ألا نعكس الأدوار، وألاّ نجعل من اليونان، الذين ليسوا إلاّ ورثة، آباء أسلافهم الروحيين العرب"(ص66). وكانت المدينة الرومانية "هي نفسها مشربة بالتقاليد العربية الآسيوية"(ص193)، وروما "لم تكن في الواقع رومانية إلّا بالاسم، ولا غربية إلّا بالجغرافيا وحدها" (ص 218). وكان "كلما توغل الغرب الروماني في الظلمات أكد الشرق العربي نفسه وارتقى إلى العلاء بعظمة"(ص236–237).

يقول روسي: "لقد بدأنا نرى بجلاء، خلال ظلمات التاريخ ومبتذلات تعليم جامعي مضلل، ذلك النور الذي غمر العالم العربي قبل أن تكون أثينا قد خلقت. ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا من أن نجد مسلياً ذلك المديح الذي وجهه إلى العرب مستشرقونا لأنهم نقلوا إلينا علم الإغريق وتقنيتهم، بعد أن "ترجموا" لنا النصوص الدينية أو الفلسفية. ولنخاطر في القول بأنه يلزمنا جيل آخر لنتمكن من قلب هذه المفاهيم الخاطئة إلى عكسها" (ص 153).

ويضيف روسي: "سيبقى الشرق مفتاح العالم الوحيد، بقوته المدينية المحترمة، وصناعاته ونظام أنهاره وموانئه المعدة لمراقبة البحر، واقتصاده الثابت الذي يخدمه ملايين الرجال المجتمعين في جماعات منذ آلاف السنيين"(ص236)، وبتميز شعبه إذ يبيّن روسي: "إن المثقفين بيننا اليوم يمتهنون حرفة تعليم الشعب، بينما كان الشعب، من قبل، هو الذي يعلّم المثقفين ويفتح أعينهم" (119). إننا نرى هذا القول أعمق ما وصف به الشعب العربي، وأكثر دلالة على تميزه فعلاً.

4- روسي وتأثيرات أبرز الإنجازات الحضارية للشرق العربي في العصور القديمة:

أ- على صعيد البنية المادية الاقتصادية:

يتحدث روسي عن معطيات تفوق العرب الهائل عالمياً في العصور القديمة، في النشاطات الاقتصادية كلّها، الزراعية والصناعية والتجارية والمصرفية، وعن قوة رأس المال العربي الذي كان عنصراً أساسياً في مسيرة الصراعات والحروب، والمسيطر الأول على السوق التجارية العالمية. ويبيّن روسي كيف توصل العرب في "العصر العربي القديم"، إلى صناعات في مجال الخزف في أنواعه كلّها والفسيفساء، وفي مجال صناعات الزجاج والتعدين والصياغة وقطع الحجر والنسيج والتطريز والحياكة والسجاد وغيرها، اتصفت "بعبقرية تقنية لم تضاه حتى اليوم"(ص150-153)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى علم الفلاحة، ومنه تنظيم الحدائق خاصة، والسقاية والزينة وغيرها (ص 153).

إن صناعات الزجاج، والمينا البسيطة أو المحتجزة للأحجار الصناعية وعجينة الزجاج المعدني أو المطعم بخيوط، وصناعة القناني والقوارير، وصناعة اللؤلؤ المقلد، وفنون النار كلّها هي قديمة في الشرق مثل قدم العالم (ص151). وإن جمال الخزف أو الطين المشوي المزين بالمينا أو المزجج الذي يخرج من الأفران المصرية أو البابلية كان رائعاً إلى حد أنه يكاد يشبه الصياغة...وقد حافظ الشرق العربي، من قرن إلى قرن، على حب الفخار المشويّ، أو الخزف اللماع الذي افتخر به الخلفاء العباسيون(ص152).

"إن الموهبة التي لا تناقش والتي يعرضها عرب عصرنا في هذا التطريز والحياكة وصناعة السجاد ترقى كذلك إلى تقليد قِدُمُه بضعة آلاف من السنين. وهم قد بقوا كالصينيين صناعاً لا يبارون. ولقد اعترف الإغريق والرومان بتفوقهم عليهم، فليس هناك من نص أدبي لا يتغنى بجمال أقمشة فلسطين، وأرجوان صيدا، وكتان مصر المطرز، وغلالات آشور التي بقيت الموصل، مدةً طويلة، قاعدة احتكارها العالمية. إن كل أنواع الألبسة الناعمة، والسجاد والمخرّمات، التي استعملها الأغنياء اليونان أو الرومانيون، كانت مستوردة من الشرق، ومن فلسطين بخاصة. وإن مصانع فلسطين وسوريا المختصة في القماش المقصب هي التي اخترعت وأدامت صناعة البطرشيلات والقمصان وحلل الكهان وتيجانهم والسرادقات والمراوح والأنواع الأخرى من ثياب الفخفخة التي كان يتزين بها رجال الدين البيزنطيون أو الرومان. إنّنا لنعرف كم كانت متطورة صناعات الدولة التي نالت أقمشتُها إعجابَ الصليبيين، ولنضف إلى هذا كله فنون الطيوب والأثاث، واللجم، وعلم الفلاحة (فن تنظيم الحدائق بخاصة) والسقاية"(ص152–153).

يقول روسي: "إن الشرق قد اشترى اليونان التي لم تكن سوى مقاطعة مسخرة شيئاً فشيئاً للرأسمال الإفريقي– الآسيوي... إن دور المصارف الحاسم جداً في أيامنا في الحياة الاجتماعية والسياسية للشعوب لم يكن أقل من دور المصارف في العصور القديمة"(ص157–158)، التي كانت في معظمها سورية وبابلية ومصرية. ويبيّن أنّ أثينا قد "أصبحت مركزاً تجارياً عربياً ضائعاً بين تلألئ ساردة وطيبة وبابل"(ص165).

وبعنوان "روما مستعمرة مصرية"(ص204) يبين روسي كيف أن "روما كانت مشتراة من الشرق"، (ص204–208)، و"أن المجتمع الروماني تحول إلى مستهلك للثروات، ولم يكن أكثر من هذا"(ص206)، وأنه "حدث في روما ما سبق أن حدث في أثينا: فقد سقط اقتصادها في التبعية الخارجية"(ص207). ويبيّن أنّ روما قد "بقيت خاضعة لسياسة الشركات التجارية والمالية، التي تعرف اليوم باسم الشركات متعددة الجنسيات، فقد كان الفلسطينيون والمصريون والفريحيون والإغريق والليبيون أو الصقليون يمسكونها بتنظيم قوي"(ص209). ويؤكد أن روما كانت في خدمة الإسكندرية، "وإن هذا كان يعني أن روما تتعرب"(ص204)، "ودخلت روما إلى قلب الشرق العميق...وانغمرت بسبب ذلك في بحيرة الشرق الإنسانية"(ص204–205).

ب– على صعيد البنية الفوقية الثقافية: الفلسفة والدين والعلوم والفنون ومنها العمارة:

يعطي روسي معلومات تفاصيل كثيرة ليبرهن أن كل مالدى الغرب من معطيات حضارية متطورة في العصور القديمة هي شرقية عربية(ص42 وما يتبع). هو يؤكد عروبة اللغة، ويبيّن أن "المفردات العربية كانت حاضرة بالكمال في اللغة الإغريقية"، وأن الفرق بين العربية والآرامية بالنسبة لعربية اليوم لا يكاد يشعر به" (ص100). يبيّن مثلاً أنّه "في فلسطين الكنعانية تلاقت من بابل وسوريا ومصر بحيرات من القصائد التي شكلت، عبر العصور، من رواسب إلى رواسب، هضبة ثقافية، انطلاقاً منها تفرقت في هضابٍ مستعمرات، ورسل، وجنود، وخطباء، ومغنون، وأبطال حملت أسماء، وآلهة، وبحارة، ومهندسين، ورجال مصارف، وتجاراً. ولقد بلغت سفن فلسطين من صور وصيدا، كورنواليس، حيث جلبت من هناك القصدير، وقوافل العنبر، المنطلقة من شواطئ البلطيق تتبع شواطئ نهري الرين والرون، لتبلغ المرافئ البروفنسية أو الإيطالية. وتصعد قوافل أخرى أواسط أفريقيا نحو المخازن الفلسطينية الليبية والتونسية. وتركض خلال هذه الطرق الحضارة الكنعانية (ص84–85).

ويورد أنّ فرانز كومون في كتابه "الديانات الشرقية في الوثنية الرومانية" قد أكد أنه "من الجبال الأوسترية حتى أفواه الدانوب نشر السوريون عبادات أدونيس، وآتيس، وبعل، وسيبيل". حتى إن سويسرا نفسها تلقت آثاراً عديدة من هذا التأثر. وعرفت بلاد الغال وإسبانيا وهولاندا وأفريقيا إيزيس وعشتار ويهوه وإيل، أولاد الله، وعقيدة البعث في عهد سبق الانتشار اليوناني أو الروماني" (ص85). ويؤكد "الإسهام الذي قدمته سوريا للثقافة الشاملة في العصر البيزنطي" (ص242).

يتحدث روسي عن الشرقية العروبية للفكر الديني والفلسفي بما فيه الفلسفة الإغريقية بكبارها كلّهم ومنهم أرسطو وأفلاطون وسقراط (ص117–142)، يقول: "إن مفتاح وحدة الكون يوجد في اللوغوس، "العقل"، إن هذا العقل يسود ويطبع كل شيء" (125). وإن "الدين يساوي الفلسفة، والتعبيران يتوافقان، والفلسفة الإغريقية قسم تام من الفكر الديني الذي هو جزء تام من الفكر الشرقي...أما وإنّ الفلسفة الإغريقية قسم من الشرق، فإنها ستعود لتكتمل في الشرق في مصر وسوريا وفلسطين"(ص117 و142). و"ليس هناك فيلسوف إغريقي لم يكن يحدث عن الشرق، ويقول إنه تلميذه. ليس هناك واحد منهم لم يولد في الشرق أو يسافر إليه طلباً لاكتشاف الماضي" (ص119).

ويشير روسي إلى القديس أوغسطين الذي لاحظ أنّ "هذه الحقيقة التي تسمى ديانة مسيحية كانت توجد لدى القدماء، ولم تنقطع أبداً عن الوجود منذ أصل النوع البشري حتى أتى المسيح نفسه، وعند ذاك بدأنا بتسمية الدين الحقيقي بالمسيحية التي كانت توجد من قبل". و"الإسلام لم يغير عقلية الشرق، ولكنه على العكس من ذلك قد حفظها وقواها، وأغنى بنى العرب الطبيعية والعقلية التي لم يصبها تغيير كبير"(ص246). وعليه فإنّ الديانة الإغريقية–الرومانية مشبعة حتى أعماق قلبها بالشرق... وأنّ اليهودية والمسيحية والإسلام أيضاً تجمع وتلخص كل ما يرغب ويريد التديّن الجمعي للشعوب التي تستعمل اللغة نفسها، والعادات نفسها، والطقوس نفسها"(115).

يؤكد روسي أن الموسيقا والرقص والمسرح ومعظم الأساطير كانت شرقية عربية (ص71–116). ويتحدث عن أن إحياء الآداب العربية خلال حكم جوستنيان هو "فصل هام في تاريخ الحضارات العام، فلقد كان استعمال اللغة الإغريقية فيها موازياً لاستعمال الآرامية التي تطورت إلى "السريانية" على مستوى الأدباء، ولكنها لم تكن سوى العربية في قوتها اليومية والشعبية. إن أسماء الأدباء جميعهم في عصر جوستنيان فلسطينية أو سورية" (ص241). ويرى أن الأباطرة العرب الذين حكموا روما، ومنهم فيليب العربي وأربع نساء سوريات من حمص هن: جوليا دومنا، وجوليا ميزا، وجوليا سميا، وجوليا ماميا، قد "وضعوا الإمبراطورية الرومانية تحت تأثير شمس حمص العربية"(ص225).

ويرى روسي الأمر نفسه بالنسبة إلى العلوم كلّها، مثل علم الفلك والتشريح والطب والهندسة والأرقام والرياضيات والسياسة والقانون وغيرها. ويقول: "في العلم كان الإغريق دائماً معروفين بأنهم تلاميذ مصر وبابل"(ص143). ويؤكد أنّ كلّ العلوم قد اتسمت بأنها "علوم تطبيقية" عند العرب، أيّ ذات غايات عملية" (ص143). يقول: " إن كل علم شرقي هو علم تطبيقي، وهو في اتصاله الضيق بالطبيعة الحساسة والمتينة يدرس السماء والأرض لغايات عملية. وحتى في الرياضيات التي هي ليست عناصر محسوسة، ولا من عناصر العالم المادي نجد الأمر نفسه: إن الأعداد قوى فاعلة "مرتبات ديناميكية"، فالدائرة سطح، والمستقيم خيط مشدود، والتقسيم توزيع، ومربع العدد سطح مربع... وإن الشرق يرفض في الحقيقة السديم العماء، ويفتش عن النظام في الطبيعة كما يفتش عنه في الفكر، فالرجل المشوش المرتبك قلب بدون نور. فالعلم إذاً، وقبل كل شيء معرفة بالنظام الكلي، والبحث العلمي يعتمد على اكتشاف وتنظيم إشارات هذا النظام بغاية التزامه، أما الأخلاق فنهاية العلم، والعقل سنده" (ص143).

ويذكر روسي أنّه في أكاد أنشأ صارغون الأول، الذي يُؤرخ حكمه في السنة 3800ق.م مكتبة فلكية، وعرفت بابل منذ وقت متقدم قانون مبادرة الاعتدالين الربيع والخريف، ودائرة الخسوف القمري، ووضع النجوم الثابتة، والسنة ذات 365 يوماً وربع اليوم، وتقسيم اليوم

إلى اثنتي عشرة ساعة لكل منها. كذلك عرفت نظام التعداد الذي كان قد أسس على الهندستين المنحنية والخطية، لأنه كان يوجد، فضلاً عن نظام الحساب العشري واثني عشريّ، مجموعة الستين دقيقة، والدائرة مقسمة إلى 360 درجة، والدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية (ص144). و"لقد نقل الإغريقي تاليس الميلي هذه المعطيات إلى العلم الإغريقي الذي استوحاها، في حين كان علم الفلك المصري مؤسساً منذ عهد ما قبل التاريخ"(ص144). "ومن الجدير بالتسجيل أن اليونانيين كالرومان تماماً لم يكونوا أبداً مطلعين على العلم السماوي المصري–البابلي الذي سيكون عربُ الإمبراطورية البيزنطية، ثم العربُ المسلمون، الوارثين الوحيدين الخبيرين به"(144–145).

يورد روسي أنّ الحضارات الشرقية القديمة قد عرفت التقاويم المناسبة لكل بيئة وكانت الفُضْلى بالنسبة إلى التقويم الإغريقي(125–126)، وأنّ الآشوريين والبابليين كانوا "يعرفون الأسبوع بأيامه السبعة المخصص أحدها للراحة المطلقة. وإذا كانوا قد نقلوا إلى جيرانهم الغربيين الساعات الشمسية، والساعات المائية، والمزاول، فإنهم قد احتفظوا لأنفسهم باحتكار الإسطرلاب، وربّما بالبوصلة. ومن الثابت أنّ أوربيي العصور الوسطى الوارثين المباشرين للعلوم الإغريقية والرومانية قد دهشوا أيما دهشة من اكتشاف آلات فلكية وآلات ملاحة عند العرب كانت مجهولة تماماً منهم. لقد تخيلوا أنَّ العرب قد اخترعوها منذ فترة غير طويلة، دون أن يفكروا أن هؤلاء الأخيرين كانوا يحتفظون بأسرارها منذ أزمنة قديمة جداً. إن الإغريق في الواقع لم يستطيعوا الحصول إلاّ على قسم قليل من العلوم الرياضية والسماوية التي كانت في الشرق منذ آلاف السنين، لأنهم لم يكونوا يملكون مدارس ولا علماء ولا قوة اقتصادية تكفي لدمج مجتمعهم في مجموعة علمية متفاوتة بالنسبة لمعرفتهم، فلقد خلبتهم ضخامة العالم الشرقي، وبقوا تجاهه كتلاميذ أمام معلم، وكانوا غير قادرين على نقل غالبية الإرث الشرقي" (ص146).

يبين روسي "أن علم اليونان الرياضي ينبغي أن لا يكون مبالغاً في تقديره فالحقيقة تجبرنا على القول: إن الرياضيين الإغريق الذين وصلتنا أسماؤهم كانوا جميعاً ودون

استثناء من أصل عربي. صحيح أن لغتهم كانت الإغريقية، ولكن الأسر التي كانوا ينتسبون إليها كانت من مصر أو من آسيا الصغرى" (ص149). وعن الشرق العربي يتحدث عنّ "أنّ الإنجازات العملاقة، التي منها الأهرامات ومعابد الكرنك أو نينوى، تشهد على عمليات لا مثيل لها في ميدان الحساب والفضاء بأبعاده الثلاثة. يضاف إلى ذلك أن إرادة وضع علاقات بين الخط المستقيم والمنحني، بين الصورة المغلقة والسماء المفتوحة، بين الزمن الفلكي وتخطيط المعبد، بين الاستمرار والمؤقت، قد أدخل في الرياضيات النيلية مفهوم العمل الدوريّ الذي يرى عملاً عظيماً مطبقاً ديناميكياً بعدة أبعاد، وليس في ميكانيكية الجوامد فحسب(147).

يقول روسي: "إن علوم الحيوان والنبات والمعادن التي خلبت لبّ أرسطو وبليني القديم، قد ولدت فيما بين النهرين، حيث كانت، منذ الألف الأول قبل الميلاد، منظمة بصرامة ومفهرسة ممالكها الطبيعية. والأمر نفسه في استكشاف علم التشريح. وإننا لنتساءل من أين استطاعوا أن يأتوا بفكرة (إن دراسة الجسم الإنساني وتشريحه كانا ممنوعين في الشرق)، ليس هناك مكان وجدنا فيه أثراً لهذا التحريم المزعوم. ونحن نعرف بالمقابل العمليات الدقيقة التي كان يقوم بها الكهنة الأطباء على الجثث قبل تحنيطها. إننا نملك لوحات تشريحية وأدلة على استبدال أعضاء بمعدن أو بأحجار كريمة. إن فنون التوليد، والبتر، والثقب، تقتضي بالضرورة معارف طبيعية معمقة. ولم يكن بقراط ليكتم التعليم الذي تلقاه في مصر. ويجب الانتباه جيداً حين تذكر المقاطع التي بقيت من مؤلفاته. إن الطب العربي الذي فرض على أوروبا حتى القرن الثامن عشر، لم يولد مع الخلفاء، وليس أيضاً تطبيقاً للطب الإغريقي، إنه ينتقل طبيعياً من جيل إلى جيل من التطبيق العلمي، ومن علم التشريح الذي نضج على ضفاف نهري النيل والفرات" (ص149-150).

ويضيف روسي: "والسياسة كذلك علم، ومن المؤكد أن المصريين والآشوريين قد كانوا بمجموعات قوانينهم، كقانون حمورابي وبوخاريس، أساتذة مدينتنا بالتالي. إن الفقهاء

الرومان لم يفعلوا شيئاً سوى ترجمة وتكييف العديد من الوثائق والوقائع والنصوص القانونية التي نقلت إليهم من مصر وكلدان، فالعربي فقيه قانوني منذ ولادته وهو يفهم بحذر شديد نص البرهان، والحذر الدستوري" (153). و"إنّ تأثير القانون المصري سواء أكان دستورياً أو جنائياً، خاصاً أو دولياً... كان يملك انتشاراً في شواطئ المتوسط. إن مفهوم الدولة البنيوية في استمراره... وإن مفهوم الدولة ذات السلطة القاهرة قد ولد على ضفاف النيل، وإننا لنعرف كم تدين الإمبراطورية الرومانية لمصر ... ولقد أفادنا ديودور الصقلي (الذي حلل لنا بدقة القوانين المدنية والجنائية لمصر القديمة) بقانون وجود محلفين منتخبين، ومحامين ومحاكم استدعاء، والشهادات والادعاءات والمصادقات كانت قانونياً خطية. لقد كانوا يكتبون كثيراً في مصر القديمة التي بلغ فيها فن الوراقة كمية تعادل كميات إدارتنا المعاصرة، فحاضرة الورق ليست إذاً من منجزات القرن العشرين. ورجال الشرطة متعاقدون بعقود خاصة أو مع الدولة، عقود كانت منظمة بمنتهى الدقة، والعقود المسجلة لدى كتاب العدل كانت تقتضي في كل عملية مالية أو عقارية، أو رهن أن تكون مصدقة بصورة شرعية"(154).

ويوضح روسي أنّ "انطلاقاً من ذلك العهد وجد الإغريق تحت تصرفهم مجموعة متجانسة نهلت منها مؤسساتهم المدنية والشعبية. وإنّه لمن المدهش أن كتبنا المدرسية تعاند في ذلك معتبرة المدينة الإغريقية مخلوقة من العدم، ومنبجسة بإعجاز من "العبقرية الهيلينية"، دون أن تقيم أي اعتبار لأصولها القانونية الأكيدة. وإنه لأمر أكثر إدهاشاً أن معظم مؤرخينا قد تكلموا عن سيطرة إغريقية على الشرق... فماذا يمكن أن تزن اليونان الفقيرة أمام الاقتصاد الزراعي المصري والرافدي الضخم، وأمام هذه التنظيمات الصناعية، والبحرية، والمالية الموطدة في الشرق وسط ملايين العمال، والمهندسين، والعلماء الذين تسوسهم وتدير أمورهم دول مركزية منذ عهود قديمة؟" (155–156).

أمّا العمل التشريعي الذي يؤلف قانون جوستنيان الشهير، فيبيّن روسي أنّه كان "مجموعة منتخبات واسعة موزعة على اثني عشر كتاباً (تقليداً لقانون الاثني عشرَ

لوحاً)، مجموعة لا تصنع شيئاً سوى إقرار العادات القائمة في الشرق منذ الأزمان السحيقة. إن مدونته عن القانون المدني سوف تكون دليلاً لجميع الأنظمة القانونية الموضوعة بعدها، وستكون، وهي المستوحاة من القوانين المصرية والبابلية والفلسطينية والرومانية المشتقة منها، معتمد مجتمع الخلفاء وأنظمة الملوك في الغرب. وفيها يعترف بأن جميع الناس هم بالطبيعة متساوون وأحرار. وأن حقوق الإرث ينبغي ألا تفرق بين الأجناس، وأن المرأة يجب أن تكون محمية من الطلاق، وأن الأسرة هي الخلية الرئيسية في المجتمع. وأكد فيها بوضوح على قوة الدولة الشاملة" (ص241). ونجد من الضروري لفت النظر إلى الدور السوري الكبير في تطوير القوانين الرومانية[34].

لم يكن موقف روسي بخصوص الفنون، ولاسيّما فن العمارة، مختلفاً عن بقية مواقفه المذكورة، فقراءة الوثائق المرئية بضمير إنساني قد دفعته أيضاً إلى تبيان أنّها شرقية عربية. هو يؤكّد بأنّه "ليس هناك فن خاص إسلامي أو مسيحي، ولا يوجد أيضاً فن يهودي أو نسطوريّ أو بروتستانتي أو أي فنٍ غير الإيمان الذي يقطن مسجداً... لهذا السبب أردنا أن يكون فن العمارة في أحدهما مختلفاً عن الآخر. ولم يكونا كذلك قط... إن علينا اعتماد فكرة كون الفنان العربي ملهم كنائسنا كما كان ملهم كنائس اليهود، والمساجد، والمزارات الأورفية والزرادشتية. فليس للفن وطن طائفي البتة، لأنه ليس للطائفية وطن. ولا لحزب سياسي أبداً، كما أنه ليس فيما نعرف فن ماركسي أو فاشيستي" (ص245). ونرى روسي يكتفي بالحديث عن فن العمارة فماذا يقول؟

يقول: "إنّ السمات الفنية للعمارة العربية تبرز في كل عمارة ذات قدم تاريخي، ولو بنسب مختلفة، ويرى في إنجازات العرب في الفنون والعمارة "امتزاج الفن والفلسفة والدين" كما سنرى. في حديثه عن كنيسة آل ميديتشي بفلورانسا، وتماثيل النحت لميكال آنجلو فيها، بيّن هذا "الامتزاج للفن والفلسفة والدين" "في صرامة الهندسة بأبعادها الثلاثة، من

[34])– انظر بهذا الشأن مؤلفات عفيف بهنسي وأحمد داوود وأحمد غسان سبانو المعنية.

أجل اقتراح حلّ لها، وذلك بإيجاد بعد رابع هو التعبير عن غير المرئي بالمرئي. وإن الزائر لهذه الكنيسة الذي يلجأ إليها وحيداً، تستولي عليه عاطفة حساسة جداً، فهذا الضريح، وهذه التماثيل، في سكونها الهندسي الصافي، تحاول أن تحلّ مشكلة وجود حقل مقدس لا تُنتهك حرمته، متوضع بعيداً جداً عن الظواهر. إن هذا الزائر نفسه مملوء القلب بالشعور ذاته عند تأمل معبد ممفيس أو أعمدة بعلبك المحاطة بسمائها وصحرائها" (ص17).

"إن الأهرامات والتماثيل العملاقة في نينوى، ومسجد عمر بن الخطاب، وكنيسة آل ميديتشي لترتفع من المنظر العقلي نفسه. ذلك أن هذه الأوابد، وهي تنفي اللحظة العابرة الزائلة، تؤكد أن الفن ليس سوى اندفاع الأرض باتجاه السماء. فلكي نصل إلى كنيسة آل ميديتشي، رائعة الفن الغربي هذه، نشعر أن من الضروري إذن أن تخلد وتستمر وتمتزج، في اندفاع مستمر، مصر وكلدان وفلسطين والأناضول واليمن، واليونان وروما أخيراً، أي جميع هذه القوى الثقافية للوطن العربي. إن العالم العربي هو الذي أعطى روحنا الغربية طموحها الشرقي الذي لم تكن تستطيع من دونه تحديد هويتها أو الاستقرار ضمن انسجامها الخاص"(ص17–18).

ويقول روسي: "لقد اتسمت الإمبراطورية (أي الرومانية)، بالسمة العربية عندما بني في روما تنفيذاً لأمر الإمبراطور معبد البانتيون، الذي بناه مهندس معماري سوري في فجر العصر المسيحي"(ص38)، إنّه أبولودور الدمشقي. "إن أحياء روما الجميلة، والفورمات (السوق المركزية) المتعاقبة كانت مبنية على صورة مدن مصر وآسيا الصغرى. بينما احتفظ الإغريق من عمارتهم الشرقية (ويقصد العربية)، بخط العهود الكبرى المستقيم، فإن روما التي أتت متأخرة، قد استوحت أيضاً العالم الجديد. لقد أخذت من العمارة الآرامية (السريانية) ذوق المنحني، ومضاعفة القباب والأقواس الصغيرة الكاملة. وغدت القبة صفة مميّزة العامة، حتى أنهم وصلوا إلى القبة نصف الكروية البابلية الطابع" (ص207).

"لقد أعطت هذه الأساليب اتساعاً كبيراً وإبداعاً رحباً للمنشآت الرومانية التي ظلّت ضيقة حتى ذلك الحين، فالمسافر المنطلق من ضفاف الفرات أو النيل لا يشعر بالغربة عندما يصل إلى روما. لقد كانت المساكن الخاصة منقولة حسب الطراز التقليدي الآرامي (السرياني): "ساحة كبرى داخلية مزينة بأعمدة واجهة، ينفتح عليها وعلى الغرف بهو واسع، فالسكنى في باحة لا يمكن أن ترد إلاّ على خاطر شعوب تسكن تحت سماء دون مطر" (ص207). "إن العامة من سكان إيطالية الشمالية كانوا مع ذلك منطوين داخل جدرانهم المغلقة. إن عربي القرن العشرين سيجد بالطبع منزلاً رومانياً حسب ذوقه في عصر القياصرة، لأن المنازل كانت آرامية (سريانية) الطابع بناءً وأثاثاً، وكان حضور مهندسين معماريين عديدين، ومعلمي بناء، ومزيني ديكور سوريين إلى روما، أمراً مؤكداً منذ وقت مبكر"(ص 208).

وعن كنيسة آيا صوفيا، رائعة الفن في القسطنطينية، استنبول الحالية، التي بنيت في العهد البيزنطي، يبيّن روسي "أننا نقف بوساطة كنيسة القديسة صوفيا على عظمة سرّ العمارة العربية وقوتها، تلك العمارة التي ستزدهر في الغرب وتسعى لتجميله. إن موضوع القديسة صوفيا، وموضوع كلّ فنّ عربي بصورة عامة، يكمن في حضور السماء والأرض المتزامن ممتزجين في احتفال يأخذ فيه الصرح دور الصلاة، حب وكبرياء بكل ما تملك الإنسانية من فخامة"(ص242). وكان الامبراطور جوستنيان، وفق ما ذكر روسي، "يعتبر كنيسة القديسة صوفيا رائعة حياته والتعبير عن العظمة السورية– الآسيوية... ولقد عهد بتحقيقها إلى مهندسيْن معماريين ... هما تلميذا التقاليد السورية. لقد حققا معجزة: ولقد افتتحت كنيسة القديسة صوفيا، بعد أن تمت في كانون الثاني سنة 537، ثم أعيد ترميمها بعد سقوط القبة في سنة 558، وتم الترميم في سنة 563. وتحدت، منذ ذلك الوقت، أي منذ أربعة عشر قرناً، قوانين الجاذبية الأرضية، وكانت شاهدة نجاح ليس له حتى الآن نظير. لقد رأى فيها (بروكوب) في كتابه (أبنية) "عملاً من أعمال الألوهية نفسها"(ص243).

ويؤكد روسي: "أن الفن البيزنطي يجسد مقدماً التأمل الإسلامي، لأنّه فن عربي... وليس يصعب علينا أن نجد ثانية في العمارة البابلية والنيلية وفي خرائب مأرب في اليمن وطيسفون، وفي بانتيون روما أيضاً، وفي كنائس دمشق، وفي أصول القباب... رموز القبة السماوية، وتقنيات ارتكاز عقد زوايا كاملة. لقد كان على القبة التي دفعها السوريون نحو الكمال، أن تظهر لأول مرة في أوروبا، على امتداد واسع، مع برونوليتشي في فلورانسا. إن الشكل الأكثر سماوية هو الذي يرتكز على دعامات مثمنة الأضلاع بواسطة عُقد الزاوية... فهنا توجد ذروة التقنية المستوحاة من الهندسة الفلكية، وقبة الصخرة أروع نماذجها المسماة مسجد عمر"(243–244).

ويؤكد روسي أيضاً أنه ابتداء من كاتدرائية بصرى الغسانية، "مروراً بأسلوب الحصون البيزنطية، وسانتا صوفيا، ومنازل قرطاجة، حتى تنتهي في العصور العربية في غرناطة أو طليطلة، وبمسجد القيروان وبقصور النورمانديين في باليرمو، وكاتدرائيات البندقية وبورغونيا... يبدو الفن في هذه الأبنية جميعاً واحداً، والقبة ملكة، والمثمن منتصراً... إننا أمام فن عربي من حيث النموذج. وكنيسة القديسة صوفيا تعطينا فكرة عنه. ونقلت صقلية هذا الفن إلى توسكانا، بينما أدخلته رافنا والبندقية إلى إيطالية اللومباردية والبيمونت،ثم حمله الصليبيون مرة ثانية إلى فرنسا وبقية أوروبة بشكل كامل"(ص244).

أخيراً يؤكد روسي: "إذا ما وضعنا الغرب والشرق في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، في كفتي ميزان فإن علينا أن نظهر كفة الغرب فارغة تقريباً؛ هذا الغرب الذي تحمله كتلة الكفة الشرقية الساحقة. فلم تكن المدينة الرومانية مطوقة من جميع جهاتها بالفتح الآرامي فحسب ولكنها كانت هي نفسها مشربة بالتقاليد العربية الآسيوية بتأثير إينياس جدّها المؤسس، وبالديانة والعقلية الأوتروسكية، وبالحضور الإغريقي– الفلسطيني في كامبانيا وصقلية والبروفنس، وبالتأثير القرطاجي الذي ينفذ حتى الأعماق بدءاً من الضفاف التونسية والجزائرية والليبية. فماذا يمكن أن يكون وزن روما أمام مثل هذا النفوذ؟ لا شيء يذكر" (ص193).

5- عن الإسلام والصلة بين العرب القدماء والعرب المسلمين:

أراد الاستشراق في اتجاهه العقدي اللاتاريخي التزويري "أن يعرف الشرق لكي يقيده ويجعله منقاداً"، وأن يحول العرب فيه إلى "عرب بلا هوية"، بلا قومية، بلا إسلام، حتى بلا مسيحية شرقية متميزة، عرب بلا حضارة مستديمة، بلا اجتماع مؤسس، هم عرب يدرسون كظاهرة عجيبة، كمادة "خام"[35]، غصباً عن الحقائق التاريخية كلّها، وبعيداً عن أي منطق أو ضمير علمي أخلاقي إنساني.

وعليه، واستكمالاً لصيغ التزوير المذكورة التي تابعنا تصحيحات روسي لها، وللأهداف نفسها ومنها تغيير ما ترسّخ في الوعي الغربي والعالمي وحتى العربي نفسه من إيجابيات عن العرب والمسلمين عموماً، وعن العرب المسلمين خصوصاً، الذين عُدُّوا، حسب رؤية رودنسون، "خطراً على الغرب قبل أن يصبحوا مشكلته ونموذجه الحضاري"[36]، فقد قام استشراق التزوير بالفصل بين الإسلام والعرب المسلمين وبين التاريخ الحضاري المذكور للعرب القدماء في الشرق العربي ومنهم السريان، لينفي عنهم الحضارة ويربطهم بالصحراء والبداوة من جهة، وليبرز تحريرهم لهذا الشرق العربي على أنّه احتلال مفروض من جهة أخرى، فماذا عن تصحيحات روسي بهذا الشأن؟ وهي تتعلق في كتابه المعني هنا بالعرب المسلمين تحديداً.

يبدأ روسي بالربط بين العرب المسلمين وبين عرب الشرق العربي ومنهم الآراميون أو السريان، لتأكيد وجودهم القديم فيه، مبيناً تواصلهم المستمر فيما بينهم قبل ظهور الإسلام وبعده. يقول: "إن العرب[37] لم يكونوا بحاجة إلى احتلال الشرق والمتوسط

---

[35])- خليل، الاستشراق مشكلة معرفة...، ص 53.

[36])- Haxine RODINSON: La fascination de l'Islam. Paris. 1988. P. 19- et 39.

[37])- هي "العرب" في النص الفرنسي الأصلي (ص33)، و"المسلمون" في الترجمة المعتمدة.

عسكرياً حيث كانوا في وطنهم منذ آماد قديمة"(ص41). "وإذا كانت إمبراطورية الخلفاء قد امتدت من جبال البيرنة، حتى الهند... فليس لأن العرب قد احتلوا، كما قيل، مناطق غير عسكرية، بل لأن هذه الأراضي هي، تقليدياً، تقع في منطقة الإمبراطورية الآرامية الاقتصادية والثقافية القديمة. إن الآراميين، الذين سميناهم من ثم العرب، كانوا يشعرون أنهم في بيوتهم سواء أكان الفراعنة[38]، أو البطالسة، أو داريوس أو بيزنطة يحكمونها، أو الخلفاء. ولم تر الشعوب التي تعيش فيها خلال العصور تغييراً في لغتها أو حضارتها. لقد كانوا عرباً وسيبقون عرباً دون صدع أو انفصال"(ص251–252)، "ولم يكن هناك حاجة لسيف ولا لاضطهاد من أجل أن تعتنق هذه الشعوب دين الإسلام" (ص41). ويؤكد روسي كيف أدّى "التضامن الآرامي دوراً في كل مكان ضدّ العدو البيزنطي"(ص250).

يبيّن روسي أنّ فكر الإسلام الديني التوحيدي هو نفسه الفكر التراثي للشرق، "إنّه يقرر الخضوع لله الخالد الأزلي الواحد" (ص40–41) كما في الموسوية والمسيحية، وعليه فإنّ "الإسلام لم يغيّر عقلية الشرق، ولكنه، على العكس من ذلك، قد حفظها وقوّاها، وأغنى بنى العرب الطبيعية والعقلية التي لم يصبها تغيير كبير. وأحسن برهان على ذلك أن المهندسين المعماريين الذين بنوا قبة الصخرة كانوا مسيحيين. وهذا يعني أن العقيدة الجديدة، وقد أخذت بعين الاعتبار معطيات العالم العربي الجمالية والأساسية، قد رفعت حقيقتها إلى القمة. إن المضمون المشترك والدائم للحضارة الآرامية التي تمتد من النيل إلى الهندوس قد بقيت مستمرة متصلة في ظل إيزيس كما لو أنها بقيت في ظل قانون المسيح أو محمد"(ص246).

ويبيّن روسي أنّه "حين أعلن النبي محمد دعوته إلى العالم جميعاً، كان لصوته دوي كبير تردد في الأبهاء والكنائس، وفي الأوساط المثقفة والمجربة، وفي الوزارات ومكاتب الخدمات الإمبراطورية كما في الأرياف. إن العقول الكبيرة المتفتحة سرعان ما تجاوبت معه بحماسة،

[38])– قصد روسي "المصريين" وهي التسمية الصحيحة، فلا ذكر لمسمى "الفراعنة" التوراتي، ولا لأية تسمية مشتقة منه في الآثار والمخطوطات المصرية القديمة.

لأن دعوته كانت عالية ذات قيمة سامية ... ولقد أثبتت التجربة أن مدن الشرق قد اعتنقت الإسلام وتقبلته... وانطلق رسل مبعوثون من الإسكندرية وإنطاكية والقدس ومكة، حاملين كلمة الله الطيبة" (ص249–250). ورأينا سابقاً كيف أنّ التضامن الآرامي قد أدّى دوراً في كل مكان ضد العدو البيزنطي. "لقد أعاد محمد، والخلفاء من بعده، الشرق إلى نفسه، أعادوا الشرق إلى ديانة الواحد الأحد على صورة مُقْنِعَة، بحيث إنَّ جميع الديانات، والميتافيزيكات الشرقية قد عرفت نفسها فيه، وتمازجت" (ص253).

ويرى روسي أنّ للإسلام دوراً في سيادة اللغة العربية، التي هي "في الحق، أول لغات الإنسانية المتوسطة المنظمة، التي سبقت لغة هوميروس وأعطتها قوانينها. وإنها منذ دعوة الرسول التي أيقظتها على الحياة الحديثة، قد ارتقت من أعماق العصور التي حملتها الأصداء الضخمة لتفرض نفسها (ص253).

رابعاً)– الخاتمة: الاستشراق والاستعراب وواجب تصحيح التزوير:

ما رأيناه هو احترام الحقيقة، وصدق الكلمة، وخُلُق الإنسان كما يجب أن يكون الإنسان، إنّه المؤرخ الفرنسي المتخصص والشامخ بيير روسي، رحمه الله وأكرمه في جناته. شكرنا له كبير جداً نعجز عن التعبير عنه، ونعده أنّه لن يكون كلاماً بل فعلاً علمياً موضوعياً نسهم فيه في استكمال رسالة التصحيح لكلّ تزوير في تاريخنا، فكما أكّد ويؤكد العالم والآثاري عفيف بهنسي "أننا نحن من كتب الصفحات الأولى في تاريخ الإنسانية، ونحن علمنا البشرية كيف تبنى الحضارات"[39]، و"حيثما كانت هناك لغة عربية كانت أمة عربية وكانت حضارة عربية"[40]. ونقول: يجب أن نكون، بعملنا الإنساني

[39])– من لقاء خاص للباحث الدكتور عفيف بهنسي مع سانا (SANA الوكالة العربية السورية للأنباء) في آذار 2017 انظر موقعها: sana.sy

[40])– نشرت صحيفة "الوطن" في /13/ 6 /201706 حواراً خاصاً مع الآثاري عفيف بهنسي انظر موقعها: alwatan.sy/archives/

الإعماري الصالح، جديرين بكوننا أحفاد هؤلاء، أحفاد من كتب وعلم وبنى الحضارات.

صحيح أنّ ما قدّمه روسي في كتابه يأتي في إطار "الاستشراق" في اتجاهه العلمي التصحيحي الموضوعي، لكنه في معظمه هو "استعراب" أيضاً"، لأنّه متعلق بالشرق العربي بشكل رئيسي، كما رأينا، وهادف إلى تصحيح التزوير وبيان الحقيقة ليس إلا، وهو المتخصص بالكلاسيكيات وتحديداً بالتاريخ اليوناني، والمطّلع دون شك، ولو على بعض الوثائق الآثارية والمخطوطات المخبأة في الأرشيفات الغربية السرية، لعله يعيد إلى العالم، كلّ العالم ومنه العرب، صورة العرب الحقيقية التي حجبها التزوير وحجبها واقع العرب المريع اليوم، لتصبح صورة العربي فيه مثيرة للحزن والغضب معاً.

تتحدث هونكه، كممثلة للاستشراق والاستعراب الموضوعي، عن جمال هذه الصورة، عن سماحة العربي وتسامحه وإيمانه بحرية الدين والفكر، وكيف أنّه طيب الخلق كريم السجايا، وتقول: "فحلم العرب وشهامتهم حتى مع أعدائهم والمخالفين لهم في العقيدة ليست بجديدة عليهم، فجذورها تمتد بالفتى العربي إلى ما قبل عصر الإسلام"[41]. وتؤكد: "بينما كان البعض في الغرب لا يغتسل إلا مرتين في السنة، فإن العربي نظافته من الإيمان وحماماته منذ القديم تمتعت بأفضل شروط الحمامات حتى يومنا هذا، بما فيها التدليك والتزيين"[42]. أمّا عن "أناقته فقد تعلقت بذوقه العالي الذي أدى إلى تطور الألبسة العربية، بحيث غدت قديماً ووسيطاً البضاعة الأكثر طلباً وانتشاراً وبخاصة في الغرب"[43]. وتبيّن هونكه كيف أن الفروسية العربية قد أثّرت تأثيراً كبيراً في الفروسية الجرمانية وفروسية الغرب عموماً[44].

---

[41])– هونكه، شمس العرب تسطع...، ص 365.

[42])– المرجع نفسه، ص 54.

[43])– المرجع نفسه، ص 53.

[44])– المرجع نفسه، ص 364 و442.

وكان الإنسان العربي يحب النور ويربطه بالخير الإلهي. تذكر هونكه أنه "بينما جريدة كولونيا الألمانية تصف إضاءة الشوارع بمصابيح الغاز، في عددها الصادر في 28 مارس 1819، بأنه شرّ مستطير من البشر يهدد الظلام الإلهي، كانت شوارع قرطبة، حوالي عام 950م، تزدان بثمانيين ألف متجر وتضاء ليلاً بمصابيح تثبت على حيطان المنازل"[45]. ولو عرفنا أن كل المدن العربية في الشرق العربي كانت مثل قرطبة في ضوئها المتلألئ، لأدركنا لماذا ورد معنى الشرق في اللغات الأوروبية على أنه "اللؤلؤة المتألقة.

لكن صورة العربي التي أثارت إعجاب الغرب ما لبثت أن تحوّلت من خلال الاستشراق التآمري التزويري، الذي يندرج كمحور أساسي فيما دعاه هارولد لاسويل "بعلوم رسم السياسة"[46]، الاستعمارية ضدّ العرب والإسلام خصوصاً والشرق عموماً، إلى الصورة النقيض، لينقلب "الإعجاب بكل ما هو عربي" كما يؤكد واط، إلى "نفور واشمئزاز"[47]، وليتحول العرب من معلمي المدنية والحضارة إلى "راكبي جمال"، وإرهابيين، معقوفي الأنوف، شهوانيين، شرهين، تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية[48]، ومن سادة العالم إلى "عاجزين" مثلهم مثل الشرقيين عموماً، "عن تمثيل أنفسهم"، حسب رؤية كارل ماركس نفسه، المفكر الشيوعي الكبير الذي أسهم في تعميم رسالة الغرب الحضارية الزائفة في تمدين الشرق، وبرّر من ثَمَّ الممارسات الاستعمارية لهذا الغرب ضدّ الشرق[49]. لقد عكست أيدي التزوير معطيات الحقائق والمواقع، شرقنة وغربنة.

---

[45])- المرجع نفسه، ص 499.

[46])- Ch. Daniel LERNER and Harold LASSWELL. Eds., The Policy Sciences: Recent Developments in Scope and Method, 1951.

[47])- واط، أثر الحضارة العربية...،ص 155.

[48])- سعيد، الاستشراق...، ص 131.

[49])- راجع نوفل، المركزوية الأوروبية...،

وإذا كان فعل جرم همجية التزوير هذه، إن فبركة، أو تعميماً، قد اقترفته، وما تزال تقترفه، كل قوى التآمر العالمي ضد الشرق العربي والإسلامي، بغض النظر عن انتماءاتها المختلفة: الشيوعية والليبرالية، اللاهوتية والعلمانية، السياسية والاقتصادية، الثقافية والإعلامية والتربوية، وخاصة الجامعية والأكاديمية، والعسكرية والمخابراتية، فإن جرم نقله وتداوله ونشره وفرضه في الشرق نفسه، قد اقترفته، وما تزال تقترفه، حسب تأكيدات الجمع البحثي الموضوعي بهذا الشأن، عناصر محلية من أوساط النقلة، وعلى الأخص المؤسسات الجامعية التي تتداول، ولو بنسب مختلفة، معطيات ما ذكرنا من همجية التزوير الاستشراقي السائدة في جامعات الغرب.

وإذا كان روسي يرى في بعض هؤلاء النقلة العرب، من مستوردي التزوير، حسن النية، بالتمسك بما تعلموه من أساتذتهم في الغرب، مطالباً إياهم "بإلغاء هذا الدجل الذي بات تاريخهم ضحية له"، "من خلال تحطيم العقلية التي كانوا قد تشربوها"[50]، فإن أحد الباحثين العرب قد رأى في بعضهم "عملاء للتبشير والاستشراق" التآمري.. مدربين "على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة، وعلى التنديد والاستخفاف بها"، منبهاً إلى وجودهم القوي في كثير من المؤسسات الاستشرقية في الوطن العربي[51].

يرى باحث آخر عربي سوري في اشتراك مفكرين وباحثين عرب في تبنّي المركزوية الأوروبية، بوعي أو دون وعي، "مسألتين مهمتيْن: أولاهما: أن أيديولوجية الغزاة الأوروبيين الغربيين في الوطن العربي استطاعت أن تمارس تأثيرها في أولئك المفكرين والباحثين بأشكال ودرجات مختلفة"، وثانيتهما أن اشتراكهم هذا يضيء لنا "الخلفية التاريخية والإيديولجية التي تحركوا عليها، والتي تمثلت بواقع برجوازي هجين أسهم في

---

[50])– روسي، مدينة إيزيس...، ص 9–10.

[51])– محمد البهي: "المبشرون والمستشرقون، وموقفهم من الإسلام"، (مجلة الفكر العربي، العدد32،... ص116–129).

تكوينه وبلورته بالحدود القصوى التواطؤ الاستعماري الإمبريالي– الإقطاعي"[52]. ويؤكد كيف وصل هذا الاشتراك التآمري عند بعضهم إلى درجة "الدعوة إلى الانتماء إلى الحضارة الأوروبية، عبر التأكيد بأن اللغة العربية ترتد إلى أصول يونانية ولاتينية"[53].

إن التزوير الغربي الاستعماري، كما هو ملاحظ في هذا المثال الناطق، يجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً، وعطالة العقل تقبله وتروّج له. نتساءل كيف لعاقل أن يقبل بأن اللغة العربية، وهي اللغة الأم للغات جميعها والأقدم بآلاف السنين، والأغنى بأضعاف المرات، من الممكن أن تكون فرعاً لليونانية القديمة، والتي يؤكد روسي أنها عربية[54]، وكيف لعاقل أن يقبل أن اللغة العربية، بقدمها وغناه، التي تتألف من (16000) جذر، من الممكن أن تكون فرعاً للغات (أنكلو– سكسونية) وعدد جذورها نحو (2000) جذر فقط، أو للغة اللاتينية وعدد جذورها لا يتجاوز (700) جذر؟ نعم إنّ هذا التزوير مثال على فظاعة التزوير في الاستشراق "التي جعلت منبع النهر مصبه"[55].

إن القوى الاستعمارية الغربية وظفت، وما تزال توظف معطيات التزوير في الاستشراق ومنه الاستعراب لخدمة مخططاتها. في الوقت الذي تمارس فيه سياسة التآمر والقمع والاستغلال وحروب الإرهاب المصنع الوقائية ضد شعوب وأمم ودول العالم الأخرى، وخاصة دول الجنوب الفقيرة ومنها الوطن العربي بالطبع وحروب ما دعي "بالربيع العربي" فيه تتحدث عن نفسها، نراها وهي ترتدي لبوس الحرص على شعارات الديمقراطية والسلام وحقوق الإنسان والمشروعية الدولية، ومحاربة الإرهاب وصنع العولمة والوحدة الإنسانية أو الكونية، والحدّ من أخطار السلاح الذري الخ.... ونراها لا

[52])– تيزيني، من التراث إلى الثورة...، ص 563–564.
[53])– المرجع نفسه، ص 565.
[54])– روسي، مدينة إيزيس...، ص 66.
[55])– المرجع نفسه، ص 9.

تحيد على صعيد الفعل عن هدفها في لبرلة العالم وخصخصته ودمقرطته وفق النموذج الغربي ولخدمة الشركات متعددة الجنسيات وبقية قواه المتنفذة، وفي تزوير التاريخ لصالح تجميل المركزوية الغربية على حساب الشرق عموماً والشرق العربي خصوصاً.

الأمة العربية هي الضحية الأولى لسياسة الغرب الانفصامية هذه، بين الشعارات وفعل التطبيق، هي التي مارس عليها، وما يزال يمارس، كثيراً من مضامين التآمر والقمع وأشكالهما، الخفية والمعلنة، ومنها التزوير الاستشراقي، من أجل الوصول إلى تعطيل فاعل مؤثر لمشروعها القومي النهضوي، الذي من شأنه أن ينجز تكوين قوتها الذاتية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومنها العلمية والإعلامية، وذلك بالعمل على تعميق واقع ضعفها وتجزئتها وتخلفها، ومن ثَمَّ تبعيتها له، وحماية مصالحه الراهنة والمستقبلية فيها وبقوة.

هذا كلّه مقابل دعمه المستمر للكيان الصهيوني المحتل لفلسطين، رغم كلّ ما يقترفه من إرهاب واستهتار بالمبادئ التي تدّعي التمسك بها، مبادئ حقوق الإنسان والشعوب، ومبادئ المشروعية الدولية، والسلام العالمي، ونراه يزودّه بكل الدعم والأسلحة المدمرة، مقابل حظر امتلاكها بالنسبة إلى العرب. هذابالطبع، في الوقت نفسه الذي يقوم فيه الغرب بالعمل على تعطيل أية إمكانية لقيام دولة عربية قوية بغض النظر عن توجهات هذه الدولة يساراً أو يميناً، اشتراكية أو سلفية إسلامية أو غيرها. وعليه فهو يرصد باستمرار تطور القوة العربية الذاتية على الأصعدة كلّها، بحيث يركّز في تآمره على محاولة حصرها وتأطيرها ضمن الحدّ الضعيف المسموح به، الذي لا يشكل، إنّ دفاعياً أو هجومياً، أي تهديد لمصالح الوجود الغربي في الوطن العربي، وطن البترول وعصب الحياة في السلم والحرب معاً، ووطن السوق الاستهلاكية لبضائع هذا الغرب، ووطن الكثير والكثير جداً من الأيدي العاملة الرخيصة والأدمغة المهجرة الثمينة والموظفة لصالح القوى الغربية.

وعليه، فالردّ الجوهري الأساسي على قوى الاستشراق والاستعراب التآمرية الغربية، هو تفعيل المشروع النهضوي العربي القومي لامتلاك هذه القوة الذاتية المتكافئة مع قوة الغرب ومع أية قوة أخرى، وليتم هذا كبداية من خلال تفعيله على المستوى القطري كما فعلت سوريا. ويندرج في إطار هذا الردّ النهضوي، بالضرورة، ردّ مهم جداً هو الردّ البحثي ومحوره تصحيح معطيات التزوير في التاريخ الإنساني عموماً والعربي والإسلامي على وجه الخصوص، الذي رأى فيه أحد الباحثين "فعلاً تحريرياً"[56]. وهو محور داخل في صلب كلّ استراتيجية متوجهة لتحقيق المشروع النهضوي الوطني والقومي. ونرى أن نؤكد أن ما يفرض هذا الردّ البحث العلمي الموضوعي ليس واجب تصحيح هذا الكمّ الكبير من التزوير والخطأ المتداول فحسب، الذي هو واجب علمي وإنساني بقدر ما هو واجب وطني قومي، وإنّما المستجدات العلمية في علوم الأنتروبولوجيا، وبخاصة في علم اللغات والآثار.

ومنطلق هذا الردّ البحثي هو حضارة الموضوعية في إعادة النظر بهذه المعطيات كلّها، في مختلف مضامين الاستشراق والاستعراب، لاستبقاء ما هو حقيقي وماله وجود تاريخي موثق فعلاً لا زيفاً، واستبعاد ما هو مزور ولا وجود له، شرقنة وغربنة. ونرى أن ينجز هذا التعاون بين المعنيين على المستوى القطري والعربي والدولي، بحيث تتمّ إعادة نظرة شاملة للمعلومات التاريخية كلّها، المعمّمة والمبرمجة في أنظمة معلوماتية حاسوبية متطورة، وآخرها الإنترنيت، والمتداولة في الأوساط والمؤسسات الثقافية العالمية الدولية، الرسمية والخاصة، بما فيها منظمة الأمم المتحدة في فروعها المتخصصة، وكذلك مؤسسات التربية والتعليم والإعلام الخ... وإنّ ما تمّ في سوريا من تشكيل لـ"لجنة إعادة

[56])– أحمد داوود، تاريخ سورية القديم تصحيح وتحرير، الطبعة الرابعة، دار نينورتا، دمشق، 2012.

كتابة تاريخ العرب" هو أمر مهم في هذا الشأن، وكذلك مساعي هذه اللجنة المحمودة دون شك، ونتمنى استمرارها ونجاحها.

عظيم الشكر، مرةً ثانية ودوماً، للمؤرخ الفرنسي بيير روسي
ولكلّ أصحاب حضارة الموضوعية في العالم كلّه

المصادر والمراجع:

العربية:

- إدّه أسيل، الفينيقيون واكتشاف أميركا، دار النهار، بيروت، 1969.
- البهي محمد، "المبشرون والمستشرقون، وموقفهم من الإسلام"، (مجلة الفكر العربي، العدد32، الخاص بالاستشراق، نيسان– حزيران 1983، ص116–129).
- التيزيني طيب، من التراث إلى الثورة، دار دمشق، الطبعة الثالثة، 1979.
- الشامي علي: "الحركة الصليبية وأثرها على الاستشراق الغربي"، (مجلة الفكر العربي، بيروت العدد 31، كانون الثاني . آذار 1983، ص(137–172).
- براستد جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، 1983.
- بهنسي عفيف: لقاء خاص مع سانا (S A N A الوكالة العربية السورية للأنباء) في آذار 2017 انظر موقعها: sana.sy
- ـــــــــــــ: حوار خاص مع صحيفة "الوطن" في /13/ 6 /201706 K انظر موقعها: alwatan.sy/archives/
- جحا ميشال، "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبة" (مجلة الفكر العربي، الصادرة عن معهد الإنماء العربي في بيروت، والهيئة القومية للبحث العلمي في ليبيا، بيروت، العدد 32 الخاص بالاستشراق، نيسان– حزيران 1983، ص182–189).

- خليل خليل أحمد، "الخيار الوحدوي العربي في ظلّ النظام العالمي الجديد"(مجلة الوحدة، الرباط، عدد90، آذار 1992، ص8-15).
- داوود أحمد، العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، طبعة.6، دار نينورتا، دمشق، 2011.
- ـــــــــــــ، تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير، طبعة رابعة، دار نينورتا، دمشق، 2012.
- ـــــــــــــ، موسوعة نينورتا التاريخية الجزء الأول: قصة الخلق، دار نينورتا، دمشق، 2012.
- روسي بيير، مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة فريد جحا، طبعة 2، دار البشائر ،دمشق،1996.
- سعيد إدوارد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة الثانية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1984.
- غارودي روجيه، نحو حرب دينية، جدل العصر، ترجمة صياح الجهيم، دار بيروت، 1996.
- فرح نعيم، النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب، دار حسان 1993.
- محمد نجاح، "القومية العربية في تاريخنا القديم: الجذور والصيرورة" (مجلة المعرفة، العدد356، أيار، 1993، ص43-76).
- ـــــــــــــ، المتغيرات والنظام العالمي الجديد وسورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1995.
- موقع موسوعة ويكيبيديا: fr.wikipedia.org/wiki/Pierre Rossi
- نوفل ميشال، "المركزية الأوروبية وعلاقة الشرق بالغرب في الفكر الماركسي" (مجلة العربي، العدد31، كانون الثاني-آذار 1983، ص173-187).

– واط مونتغمري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبة، ترجمة جابر أبي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1981، ص116–117، و158.

الأجنبية:

- CHARNAY Jean P.: Les Conter – Orients ou Comment Penser l'Autre selon Soi, sindbad, Paris. 1980.
- Herodotus, Vol IV., Ch. 42.
- LERNER Daniel and Harold LASSWELL. Eds., The Policy Sciences: Recent Developments in Scope and Method 1951.
- RODINSON Haxine: La fascination de l'Islam. Paris. 1988.